سؤال الهويّة وصراع الأنا والآخر في الرّواية العربيّة: – رواية الميراث لسحر خليفة أنموذجاً–

The question of identity and the ego and the other struggle in the Arabic novel: - The inheritance of Sahar Khalifa as a model-

د. زهرة طويل♥

تاريخ الاستلام: 26-07-2020 تاريخ القبــول: 20-03-2022

ملخّص: إنّ الظّروف التّاريخيّة التي تعرضت لها الأمّة العربيّة، أفضت إلى نسيان بعض الشّعوب العربيّة لهويتها، فغدت إمّا جاهلة لها فهي تبحث عن هويّة وإما عارفة بها ولكنّها أستلبت منها فهي تحاول استرجاعها والدفاع عنها، والمشكلة تتمثل في أنّ الهويّة ليست وحدها التي أصبحت غريبة بالنّسبة للإنسان، بل الذّات نفسها أصبحت مشكلة بالنّسبة لذاتها، متسائلة من أنا وما الذي يحدّد ملامح هويتي؟

لقد أصبح سؤال الهويّة وهاجس البحث عنها والتّباسها الموضوع الغالب على محاور الرّواية العربيّة، بل يعتبر واحدا من الأسئلة الأساسيّة التي تواجهها. ذلك ما نحاول مناقشته من خلال انتخابنا لرواية الميراث لسحر خليفة حيث نعتبرها–من وجهة نظرنا–رواية هويّة خاصّة وأنّها تطرح إشكاليّة الصّراع العربي، الإسرائيلي وخاصّة أيضًا وأنّها تقوم على فكرة الهويّة الضّائعة وكيف يمكن للإنسان البحث عن ذاته في ظل فقدانه لكل مؤشّرات العودة، وكيف يمكن لوطن بهويّة مزيفة أن يمنح هويّة؟ ومنه توصلنا إلى نتيجة مفادها أنّ البحث عن الهويّة وليس فيها لا يزال قضيّة تتصاعد بحكم الظّروف المعاصرة. فلقد برزت وجها مهمًّا جدا في تأجيج الصّراع وأي صراع أشدّ ضراوة من الصّراع على الهويّة. فالإنسان ليست له هويّة مطلقة والهويّة

♥جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، البريد لإلكتروني:touilzahra2016@gmail.com (المؤلّف المرسل).

ليست معطى جاهزا ونهائيا، بل يعمل على بنائها باستمرار، وكلّما كانت هذه الذّات قادرة على الانفتاح على الآخر والتّعامل معه، كلّما اقتربت أكثر من الهويّة.

كلمات مفتاحيّة: الهويّة؛ الأنا؛ الآخر؛ صراع؛ السّرد.

Abstract: The historical circumstances to which the Arab nation has been subjected, led to the forgetting of some of the Arab peoples by their Arab identity, so they became either ignorant of it, looking for an identity, or knowing it, but it was taken from it as it tries to retrieve it and defend it, and the problem is that the identity is not the only one that has become alien to humans Indeed, the self itself has become a problem for itself, asking who am I and what defines the features of my identity ?The question of identity and the obsession with searching for it and its ambiguity has become the dominant topic on the axes of the Arabic novel, but rather it is one of the basic questions facing it. That is what we are trying to discuss through our election to the inheritance novel of the magic of Khalifa, where we consider it - from our point of view - an identity narrationespecially as it poses the problem of conflict The ArabIsraeliand especially also that it is based on the idea of a lost identity, and how can a person search for himself in light of his loss of all signs of return, and how can a country with a false identity grant an identity? From it we reached the conclusion that the search for identity and not in it is still an issue that escalates due to contemporary circumstances. A very important aspect has emerged in fueling the conflict, and any fiercer conflict than the identity struggle. A person does not have an absolute identity and identity is not given ready and final, but rather works to build it continuously, and the more this self is able to open up to the other and deal with it, the closer it gets to identity

Keywords : Identity; ego; The other one; Conflict; Narration.

المقدّمة: بدأ سؤال الهويّة يؤرق الإنسان العربي نتيجة احتكاكه بالآخر، الذي سبقه حضاريا، وبدأ يهدّد وجوده، حين زحف إلى الشّرق مستعمرا "إذ كان الاستعمار **عاملا** رئيسيا في انتشار مفهوم الهويّة وأشكلته في عالم كان الغرب المستعمر يخلق

صدامات ثقافيّة حينما حل من خلال قيمته التي يفرضها على البيئات الاجتماعيّة والثّقافيّة التي يحل فيها والتي تضطرّ تلك البيئات بدورها للمقاومة قدر ما تستطيع"[1](سعد البازعي، 2005)، فالمرء لا يدرك أهميّة هويته، بمعنى تمييزه لنفسه وتحديد حالتّه الشّخصيّة"[2] (جمال شحيد ووليد قصاب، 2005)، إلاّ في لحظة مأزومة، يواجه فيها المختلف، عندئذ يرتد إلى مكوناته الأصليّة، التي تمنحه الإحساس بوجوده، أي بتميزه واختلافه عن الآخر، فيحس بضرورة الحفاظ على هذه المكونات، مهما كانت التّحديات، إذ كلّما احتدت المواجهة مع الغير، زاد المرئ تمسكا بمكونات هويته وخصوصيته، حتى تكاد تصبح (أناه). ولكن ماذا تعني الهويّة؟ هل هي مفهوم ثابت مستقر، ضيق مغلق ومتمحور على ذاته؟ أم هي مفهوم منفتح على الآخر؟ بقدر انفتاحه على ذاته؟ هل يمكن أن تتشكل هويّة بمعزل عن الآخر؟ أي هل يمكن أن نعرف هويتنا فقط من خلال هذا الآخر؟ ثم هل تشكل هذه الإشكاليات بمجموعها ما يسمى بأزمة هويّة أو إشكاليّة هويّة؟ وكيف انتقل هذا الإشكال من العالم الواقعي(الاجتماعي) إلى العالم الورقي؟ بمعنى كيف أصبح هاجس البحث عن الهويّة والتّباسها هو هاجس الرّواية العربيّة وأحد أهم محاورها؟ إنّ الغاية من هذا المقال هو مناقشة مجموع هذه الإشكاليات ومحاولة الإجابة عنها من خلال اختيارنا لرواية الميراث للكاتبة الفلسطينيّة سحر خليفة، أنموذجا باعتبارها أكثر من رواية، هي رحلة البحث عن هويّة، رحلة البحث عن حق في الحياة.

1- مفهوم الهويّة (IDENTITY): مفهوم الهويّة من المفاهيم الملتبسة والمتعددة الدلالات والأبعاد، والسّبب في ذلك هو أنّ الكثير من الاختصاصات العلميّة أو المعرفيّة تحدّده بكيفيّة تتلاءم مع طابعها الخاصّ، فالهويّة يبحث فيها علماء النّفس، علماء الاجتماع، علماء الأنثروبولوجيا، التّاريخ، الأدب...، كل يبحث فيها انطلاقا من طبيعة الاختصاص الذي ينتمي إليه وينطلق منه، مع ملاحظة أنّ المفهوم بدأ يهيمن ويأخذ صورة خاصّة في كل الاختصاصات التي أشرنا إليها، وفي الوقت نفسه سيصبح موضوعا من الموضوعات التي تثير اهتمام الإعلام والمجالات الثّقافيّة المختلفة. وإذا كان الاستعمار عاملا أساسيا دفع إلى الاهتمام بالهويّة-كما ذكرنا-فإنّ العامل الثّاني الذي جعل من الهويّة هاجسا وإشكاليّة للذات العربيّة يعود لتوسع العالم

حيث صار أكثر تعقيدا، وأصبح وعي أوروبا كوكبيا (العولمة)، وأطلق الأوروبيون موضوعات جديدة متباينة للمعرفة على نحو متزايد، تعمّق من تزايد مساعي الأفراد/الجماعات نحو تشكيل هويات غير متوافرة في أوطانهم، فقيم الآخر تتغلغل بقوة في حياتنا الخاصّة. فالعولمة ليست عمليّة تجري في كوكب آخر، إنّها تعيش بيننا ومعنا، إذ دخلت حياتنا الاقتصاديّة والثّقافيّة والاجتماعيّة وغيرها"[3](نهال مهيدات، 2008) والتي تعني من بين ما تعنيه زوال الحدود على كافة المستويات باعتبار أنّ العالم الآن قريّة صغيرة. ومن المفارقات العجيبة والغريبة في ذات الوقت، أنّه في ظل الدعوة إلى العولمة الشّاملة، عولمة القيم والأفكار والأذواق بل عولمة الأشياء، وفي زمن تكسير الحواجز والحدود، وأمام الانفجار المعلوماتي الهائل وتدفق المعارف بسرعة ووتيرة لا متناهيّة نجد في الوقت ذاته الحرص على إعادة الاعتبار لبعض المفاهيم، مثل الخصوصيّة والهويّة، التي تبدو متجاوزة أمام هذا العالم الذي فتحت فيه الأبواب والنّوافذ، وأزيلت فيه الحدود والجمارك، الماديّة منها والمعنويّة، وأصبح العالم حقيقة عبارة عن قريّة صغيرة[4] (مصطفى حضران، 2017). لقد أحدثت العولمة تغيرات جوهريّة في طبيعة التّجارب الرّوائيّة، وهي بطبيعة الحال صورة لتجاربنا اليوميّة وما تمرّ به مجتمعاتنا من تحولات عميقة أبرزها إرغامنا على إعادة تعريف الجوانب الحميمة في حياتنا مثل العائلة والأدوار الجنسيّة والهويّة الشّخصيّة"[5](أنتوني غندر،2005)، وجعلتنا أيضا نفتح أعيننا على "أنّ ارتباطنا المتزايد ببقيّة العالم يعني أنّ لأفعالنّا أثر في الآخرين مثلما أنّ لأفعال الآخرين الأثر علينا "[6] (أنتوني غندر،2005). لكن، لا بد لنا قبل أن نطرح السّؤال عن ماهيّة الهويّة وكيف تتحقق في النّص الرّوائي، أن نبين أنّ مفهوم الهويّة في اللغة العربيّة يأتي بتعبير الحد أو التّعريف والمقصود بذلك، تمييز الشّيء بما هو عليه عن أشياء أخرى مختلفة عنه، لذلك جاء مصطلح "الهويّة من(الهُوَ) وهو جواب عن ما هو الشّيء، لأنّنا نريد أن نحدّده ونعرفه بما هو عليه وما هو مختلف عنه" وبالتّالي فإنّ هويّة الشّيء، هي ثوابته التي تتجدد وتتغيّر، تفصح عن ذاتها ما بقيت الذّات على قيد الحياة" [7](سعد فهد الذّويخ 2009). في حين أنّ الاستعمال في اللغات الأجنبيّة، في الفرنسيّة مثلا (IDENTITY) التي تعني مطابقة الشّيء المتحدّث عنه مع نفسه واختلافه عن غيره

لذلك هناك من يقول (الهَويّة) وهذا من الخطأ لأنّ النّسبة هنا هي لـ (الهُو) فنحن دائما عن الشّيء الذي نريد أن نتعرف عليه أن نتساءل: ماهي الهويّة؟ ما هو الأدب؟ ماهي الفلسفة؟.. وبالتّالي فإنّ مفهوم الهويّة يتجلى بصورة خاصّة في تحديد الشّيء بما يتميّز به عن غيره من الأشياء. وفي التّراث العربي، تستعمل كذلك باسم (الإنّيّة) أو(الآنيّة) التي تتحدث من خلال (الأنا). ومنه يمكننا أن نطرح السّؤال التّالي: هل هذه الهويّة هويّة واحدة أم هويات متعددة؟ وبالتّالي كيف يمكننا أن نحدّد هذه الهويّة باعتبارها تمفصلا بين الذّات والآخر، لأنّ هويّة شيء ما لا يمكنها أن تتحدّد إلاّ من خلال الذّات التي نريد أن نحدّد هويتها في علاقتها بالآخر، لذلك نجد المفاهيم التي تطرح بصدد مفهوم الهويّة تتحدّث عن هويات متعددة. من بينها مثلا:

أ-الهويّة الوطنيّة: وهي مجموع السّمات والخصائص المشتركة التي تميز أمّة أو مجتمعًا أو وطنًا معينًا عن غيره وتترجم روح الانتماء لدى أبنائها، والسّؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف لهويّة واحدة (الهويّة الوطنيّة) أن تستوعب وتتمثل في هويات متعددة؟ لأنّ داخل أي مجتمع سنجد تعددا في الأعراف تعددا في الانتماءات على اعتبار أنّ الهويّة تعبير عن انتماء؟ فمثلا عندما نتحدّث عن الهويّة الوطنيّة ولتكن (الهويّة الفرنسيّة) مثلا، داخل هذه الهويّة (الفرنسيّة) يمكن أن نتحدث عن هويات فرعيّة، بحكم أنّ الهويّة الفرنسيّة سنجدها الآن مع الاتحاد الأوروبي أي داخلة في نطاق الاتحاد الأوربي باعتبارها هويّة تتجاوز الحدود الثّقافيّة والتّاريخيّة لأمّة، هي هويّة الأمّة الفرنسيّة، وهنا تطرح مسألة بداية تعدّد الهويات، فكيف يمكننا أن نراعي الحدود بين كل هويّة؟ هل هذه الهويّة ثابتة أم أنّها متغيّرة؟ وبالتّالي فهل يمكننا أن نتّفق على تصوّر موحّد بشأن مفهوم الهويّة أم أنّه سيظل مفهوما ملتبسا وغير قابل للتحديد تحديدا دقيقا؟

ب-الهويّة الإنسانيّة: وهي هويّة تتجاوز الحد الجغرافي العام، كأن يجمع بيننا وبين الإنسان في أي مكان من العالم، مشاكل موحّدة، مصير مشترك فهناك مشاكل تتهدد الإنسان وهي لا تهم إنسان دون آخر، كالمشاكل البيئيّة مثلا.

ج-الهويّة الافتراضيّة: وهي ما تعلّق بالفضاء الشّبكي، لأنّ تواجد الإنسان في الفضاء الافتراضي يجعل هويّة الفرد محل بحث وسؤال، فما هي هويّة الإنسان عندما

يكون في الفضاء الشّبكي، هل هي هويّة لها محددات خاصّة؟ أم أنّ هذا الإنسان له انتماء إلى عالم افتراضي أو ما يمكن أن نسميه المجتمع الافتراضي، يشكّل جزءًا منه وبالتّالي فعلاقته به هي علاقة تختلف عن أي علاقة يقيمها مع النّاس في العالم الواقعي. فهذه الهويّة ليست ذات حدود جغرافيّة وتسبح في فضاء الانترنت وتتفاعل مع الآخرين عبر النّص أو الصّوت أو الصّورة أو الرّموز[8](عبد الحكيم أحمين 2017). فالهويّة إذا هي هويّات متعدّدة، يمكن النّظر إليها بالنّسبة للفرد، كما بالنّسبة للجماعة أو الجماعات، فإذا أخذنا الفرد مثلا، سنجد أنّ كل فرد من الأفراد في المجتمع له شخصيته الخاصّة التي يتميّز بها عن الآخرين له اسم شخصي، له اسم عائلي يدل على الانتماء إلى جماعة اجتماعيّة معينة، لكن في الوقت نفسه نجد أنّ هذا الفرد تتعدد هويته بتعدد الأدوار والانتماءات التي يقوم بها داخل المجتمع فالهويّة تتحدّد وفق السّياق والمقام الذي توجد فيه الذّات، صحيح قد نجد ثوابتا لهذه الهويّة لها أصولها وجذورها لكنّها متغيّرة ومتحولة، فثبات الهويّة –كما يرى الكاتب زكي نجيب محمود: "لا ينفي أن يكون في ركائز البناء، أمّا ما يقام على هذه الرّكائز من مضمون حضاري لا بد أن يتغيّر مع تغير الحضارات"[9](زكي نجيب محمود 1993).

نفس الشّيء يمكن أن يقال عن الجماعات الاجتماعيّة، فداخل جماعة اجتماعيّة ما قد تتحدّد علاقات الأفراد فيما بينها في المصالح التي تجمعها، ولكنّ هذه المصالح في وقت معيّن قد تصبح عرضة للنهاية، فالجماعة الاجتماعيّة يمكن أن تنقسم على نفسها مثلا: الحزب السّياسي، فجميع أعضائه يمثّلون هويّة واحدة فكريّة إيديولوجيّة ولكن عندما لا يبقى القاسم الفكري الذي يجمع بين هذه الجماعة الاجتماعيّة، فإنّ كل واحد منهم سيأخذ طريقه، وبالتّالي هؤلاء الذين ينتمون إلى هذه الجماعة الاجتماعيّة يمكن أن يتخذوا أفكارا متعددة ممكن أن يتحولوا من فكر إلى فكر، من النّقيض أحيانا إلى النّقيض، وبالتّالي لا يمكننا أن نقول بأنّ هذه الهويّة ثابتة وعامّة، وعلى أساس من ذلك" لا تكون الهويّة كاملة أبدًا وهي ليست شيئا تدركه الحواس، إنّما هي سيرورة غير منتظمة، إنّها قيد البناء على نحو دائم وهذا يعني أنّها لا تتمتع بأي استقرار"[10](نهال مهيدات، 2008)، وفي هذا الإطار يقدم محمّد عابد الجابري فهما معمقا للهويّة يرى فيه أنّ الهويّة" كيان يصير ويتطور وليس معطى جاهزا ونهائيا هي

تسير وتتطور ،إما في اتجاه الانكماش، وإمّا اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا، احتكاكها سلبا أو إيجابا مع الهويات الثّقافيّة الأخرى."[11] (محمّد عابد الجابري، 1998)، فالهويّة مفهوم معنوي مجرد أكثر منه حسّي ملموس مجسّد، وربما تجمع بين الأمرين. ومنه يمكن أن يتّخذ الحديث عن الهويّة وجهتين أساسيتين:

أ-**الوجهة الأولى:** هي **التّمحور على الذّات:** وهي الوجهة التي ترى أنّ الهويّة تقوقعا على الذّات، هذه الذّات الخائفة من الانمحاء والانسحاق، فترفض الآخر من أجل الحفاظ على مكونات هويتها، التي تراها "عنصرا نقيًّا وبنيّة ثابتة وحقيقة متعاليّة وشعارا مقدسا" [12](ماجدة حمود، 2013).

ب-الوجهة الثّانيّة: الانفتاح على الآخر: وعمليّة الانفتاح هذه لا يمكن أن تتحدد إلاّ بتطور رؤيّة ثقافيّة واجتماعيّة للعالم الذي نعيش فيه، لأنّها هي التي تعطي مجال للانفتاح على الآخرين، "فالمثقف الحقيقي (مفكرا كان أم روائيا) عليه أن يتجاوز الرّؤيّة المغلقة، ويبتعد عن التّعامل مع مكونات هويته القوميّة بصفتها جوهرا ما ورائيا أو عنصرا نقيا أو بنيّة ثابتة أو حقيقة متعاليّة أو شعارا مقدسا، وبذلك يخرجها من إطارها الجامد، وينظر إليها بصفتها شرطا يمكن تغييره، أو معطى ينبغي صنعه وتحويله"[13] (ماجدة حمود، 2013)، لهذا السّبب "يعد أكثر النّاس وعيا بالهويّة وقدرة على تجاوز المألوف والابتكار، فالمهم ألاّ يحول تعلقه بما يشكّل رموزه وهويتها من دون ازدهاره وتألقه، ومن دون تفرده وإبداعه، فالخصوصيّة فرادة تسمح للإنسان بأن يكون عالميا"[14](ماجدة حمود، 2013). ولا يمكن أن يتأتى هذا الانفتاح إلاّ بمعرفة أنّ هويّة الشّخص هي هويات متعدّدة، وبالتّالي عندما أعرف أنّني أملك هويات متعدّدة فأنا قادر على الانفتاح على الهويات الأخرى، ومنه نقول أنّه "لا يمكن لجماعة أو لفرد أن يكون حبيس هويّة ذات بعد واحد، فهي تتميّز بطابعها المتقلب الذي يمكن أن يخضع لتأملات مختلفة واستخدامات عدة، تتأثّر بالبيئة الاجتماعيّة والثّقافيّة، التي بزغت فيها، مثلما تتأثر بتجاربها مع الآخر، سواء أكانت لقاء أم صراعا"[15](ماجدة حمود، 2013).

د–الهويّة المزدوجة: وهي تعبير عن قلق الهويّة (أزمة الهويّة)، فالإنسان دائما في بحث مستمر عن ذاته، من خلال السّؤال: (من أنا)،(من أين جئت) كأسئلة إيليا أبي ماضي، هذه الأسئلة دائما ذات بعد أنطولوجي وجودي متّصلة بالإنسان، ونعطي مثالا لإنسان انتقل من الباديّة إلى المدينة، فهو انتقل من فضاء إلى فضاء آخر مختلف، مع جماعات اجتماعيّة أخرى مختلفة فهل سينقل هويته التي تأصلت في ثقافته الأولى ولغته الأولى إلى العالم الجديد الذي يعيش فيه أم أنّه سيعمل على أن يتكيف مع الفضاء الجديد الذي انتقل إليه، ونفس هذه المسألة لأي إنسان في المهجر كيف يعيش؟، أكيد نجده يعاني من قلق الهويّة وتؤرقه أسئلة الهويّة هل ينتمي إلى البلد الأصل الذي جاء منه أم إلى البلد الجديد الذي انتهى إليه؟، وإذا تركنا هذا الجانب الاجتماعي وانتقلنا إلى الرّواية، نقول أنّ ظاهرة العولمة الثّقافيّة، التي تكلّمنا عنها سابقا، "ارتبطت بظاهرة الهويّة المزدوجة لكتاب الرّواية الذين هجروا لغتهم الأمّ لأسباب متعدّدة، ويواصلون الكتابة بلغة المهاجر الأجنبيّة، مثل: ربيع علم الدين اللبناني الذي يعيش في الولايات المتحدة، ويحمل جنسيتها، لكنّه لم يتخل عن الكتابة عن هموم وطنه الأمّ في وطنه الجديد. وإدوارد سعيد الفلسطيني الأصل والهويّة والأمريكي الجنسيّة. وقس عليه الذين استقروا في أوروبا دون أن يتنكروا لهوياتهم العربيّة، وظلوا مرتبطين بها ومدافعين عن حقوق أبناء أوطانهم التي هاجروا منها [...] والطّاهر بن جلون وآسيا جبار ومليكة مقدم وأشباههم من المغاربة والجزائريّين فضلا عن أمين معلوف بوصفه نموذجا للأدباء اللبنانيين الذين استقروا في فرنسا واتخذوا من لغتها موطنا جديدا لهم، ولكن دون أن ينسوا موطنهم الأم وهناك بالطّبع الكتاب الذين ولدوا في هذه الأقطار، مثل جمال محجوب السّوداني الأب والبريطاني الأم. وقد أصدر روايات عديدة وأصبحت له مكانته في الأدب الإنكليزي ".[16](ماجدة حمود، 2013). هذه الأسماء نماذج لكتاب ينتمون إلى عالمين، وينقسمون بينهما لكن ليس في نوع من الصّراع، وإنّما في نوع من التّوازن متعدد الأبعاد. ولذلك فهم يختلفون عن كتاب مثل أمين الزّاوي ورشيد بوجدرة في الجزائر، فكلاهما يكتب بالفرنسيّة والعربيّة وانتقالهما بين اللغتين يحدث اختياريا، ومن منطلق هويّة واحدة متحدة.[17](ماجدة حمود، 2013).

ولهذا ارتبط مفهوم الهويّة –بشكل عام أو في العمل الرّوائي بالاغتراب – ومن محدّداته المفهوميّة ضعف أحاسيس الشّعور بالهويّة "فالاغتراب شعور يتولد باعتباره إحدى نتائج فقد الهويّة أو ضعف الشّعور بها، وعلى اختلاف أشكاله ومظاهره (الاغتراب المكاني، الاجتماعي، الرّوحي...)، يعدّ من أكثر ما يؤثّر في شخصيّة الإنسان سواء على مستوى ذاته أم علاقاته "فعندما تتعرض الشّخصيّة الإنسانيّة في جوهرها العقلي، أو الثّقافي أو الاجتماعي، لنوع من التّشويه والاغتصاب تحدّث عمليّة اغتراب وتشويه"[18](بومدين بلكبير، 2017)، وهو ما يوصل الإنسان إلى أزمة حقيقيّة مع ذاته وعالمه المحيط، إلى درجة أنّ هناك من الدارسين –إريك فروم–من يرى أنّ "الإنسان المغترب هو إنسان مريض من النّاحيّة الإنسانيّة، وهذا ما يجعله متشظيا في عالمه مضطربا في تصرفاته، يعيش حزنا داخليا وانفصالا علائقيا مع عالمه الخارجي. ويؤكّد إدوارد سعيد أنّ هذا النّزاع بين طرفي الهويّة لم يفارقه يوما واحدا، فلم يحظ براحة قطّ من ضغط إحدى اللغتين على الأخرى، ولا نَعِمَ بشعور من التّناغم بين أصل ماهيته وما صار إليه. والنّتيجة أنّ الهويّة صارت كيانا مزدوجا، كأنّها علاقة بين توأمين، يتحسّس أحدهما الآخر إيديولوجيا وروحيا، أو علاقة بين طرفين لا يتّحدان، فظلت الهويّة مزدوجة، والكتابة لغة متوتّرة، لم يحقّق صاحبها في العربيّة ما توصل إلى تحقيقه في الإنكليزيّة، والعكس صحيح بالقدر نفسه. ولذلك طغت على الكتابة أشكال من الانزياح والتّغاير والضّياع والنّشوة، وذلك بالقدر الذي أصبحت الهويّة ذاتها تتكون من تيارات وتحرّكات لا من عناصر ثابتة جامدة. وإذا كانت النّتيجة هوة تفصل بين عالمي الهويّة، فإنّ تجسير هذه الهوة، وترويض توترها، هو سبيل البقاء والإبداع الذي يواجه تحدّي الازدواج بمحاولة الجمع بين طرفيه في تركيب يحتوي الطّرفين معًا، ويصوغ من توترها نوعا من الكتابة الفريدة التي تجاوز الهوة بالتّسليم بها، وتجعل من الهوّة نفسها سبيلا إلي صياغة مغايرة، على نحو تنتسب فيه الذّات إلي طرفيها حتى في سعيها إلي مجاوزة المسافة بينهما بإقامة حوار دائم وتفاعل خلاق، يفتح الآفاق الرّحبة أمام الحوار بين الثّقافات، فتجاوز الكتابة ارتباك الهويّة التي تعقدها، وانغلاقها المنحاز إلي هذا الطّرف أو ذاك، إلى انفتاحها علي ما يؤدي إليه الطّرفان معًا، وما يتركه كلاهما في الآخر من تأثر أو تأثير.[19]

(جابر عصفور، 2019). ولعلّ ما صعب التّعامل مع الهويّة هو هذا الانتقال إلى العالم الرّوائي، فتحوّلت من العالم الواقعي إلى العالم الورقي وأصبحت حدودها أكثر تشعبا وتداخلا، بسبب اختفاء بعض معالمها في العالم الرّوائي، أو التّركيبة المعقدة لبعض الشّخصيّات. كما، وعبر التّحوّل للعمل الرّوائي يزداد المفهوم تشعبا لأنّه يظهر بكل أشكاله وتحاول الشّخصيات قهر غربتها والقيام بردة فعل، ممّا يجعل العمل الرّوائي ينبض بالحركة الداخليّة في سبيل تجاوز معضلة الاغتراب وصولا للهويّة بمختلف أشكالها أو تتفاقم الأزمة وتلتبس الهويّة.

2–علاقة الرّواية بالهويّة والسّرد والآخر: تعرف الرّواية على أنّها "فن أدبي مستقل له خصوصيته وذاتيته، إذ هو فن يتسع لدراسة العلاقات المتشابكة والمتشابهة داخل المجتمع، فيفرز لنا النّماذج البشرية في شكل نقبله، إذا تمثّلت فيه ملامح الخير والبطولة والدعوة إلى الإصلاح، وشكل نحاول أن نتجنبه إذا بدا وكأنّه رمز للتخلف والفساد والدّعوة إلى الرّذيلة، على ذلك فالفن الرّوائي يجنح غالبا إلى التّهذيب والإصلاح ويقدم العلاج الأمثل للتغلب على جل المشاكل الاجتماعية»[20](نادر أحمد عبد الخالق،2009)، فالرّواية محاولة لتفسير الحياة الإنسانية وفهم ماهية الإنسان في الكون. كما تعدّ الرّواية مرآة عاكسة للإنسان في المجتمع، حيث أنّ وظيفتها الأساسية تكمن في "معالجة قضايا وجود الإنسان غير ناظرة إليه مفتتا كما تفعل العلوم، بل تتناوله كلا متكاملا .الإنسان في الرّواية ليس بطاقة أو رقما أو رسماً أو بياناً أو نبتا منتزعا من جذوره، بل كائن ينبض بالحياة مندس في نسيج معقد من علاقات متبادلة تجمع بين النّقيضين، فهو فذ ومتشابه، متفرد وملتحم من خلال تلفيق الرّواية نصل إلى الصّدق "[21] (نادر أحمد عبد الخالق، 2009)، إذن أهمّيّة الرّواية تنبع من أنّها تهتمّ بالمحيط الخارجي للإنسان، ومن ثمّة تنتقد وجوده في الحياة. تهدف الرّواية إلى تحليل المجتمع ونقده كما تصور أزمة الإنسان وصراعه مع الآخرين، وهي اليوم تعبر عن همومه ومعاناته وأمراضه النّفسية، وحساسية هويّته إزاء هويّة الآخر من حوله، فأصبحت مهمّة الأديب تتمحور في النّقد الهادف لذلك المجتمع الذي يرتبط به ماديًا واجتماعيًّا ونفسيا وأخلاقيًّا. وبما أنّ للرّواية قدرة على وصف الواقع ونقده من خلال التّعبير عن مشكلاته ومعاناة الذّات فيه، من هنا كانت الرّواية "أكثر فنون الأدب قدرة

على و صف المشهد العربي في تحولاته المختلفة، فالصّلة بين الكتابة الرّوائية والتّحولات الحضارية التي يشهدها العالم العربي اليوم قائمة وقويّة جدا، فالرّواية كأي من الفنون الكبرى عمل حضاري، وهي إشارة إلى التّحول الحضاري إذا تحقّقت كعملية فكريّة ولغويّة وبنائيّة" [22](رزان محمود إبراهيم 2003)، فمن الرّوائيين من يؤمن بأنّ العمل الرّوائي مشروع نهضوي يؤدي غرضا تغييريا حضاريا تحريضيًّا يسهم في الوصول إلى نتيجة أو حل لمشكلة أو أزمة قوميّة وطنيّة.

تعتبر الرّواية أرضية خصبة لتمثيل الهويّة، فهي تعتمد على السّرد، وكل سرد يتطلّب ويستوعب ثنائية الأنا والآخر، سواء كان السّارد أنا أو آخر أو كان السّارد افتراضيا آخرا كامنا خارج هذين القطبين، فالتّماس هو الذي يمنح السّرد وجوده ويجعله سردا، سواء كان هذا التّماس توافقيا في حده الأقصى...أم كان تماسا تنافريا عبر مختلف أشكال الحروب وعمليّات الخصومة والقتل والعداء وما إلى ذلك "[23](صلاح صالح، 2003) فالذّات وكذلك الآخر المختلفان في الهويّة والانتماء، لا يتحققان إلاّ في إطار السّرد الذي يحافظ بدوره على امتلاكهما لخواصهما الدائمة التي تفرّق بينهما في الهويّة السّردية. وليس بالضّرورة إذا تحدثنا عن جدليّة الأنا والآخر أن تنحصر في الشّرق والغرب بل تعدّدت هذه الجدليّة وتباينت أشكالها، لتتجسد في المكان أو الديانة أو حتى الانشطار الذّاتي، ليتشكل في هذه الأجواء المشحونة آخر جواني"[24](لبيب الطّاهر 1999) تبدأ معه رحلة الذّات المأزومة، التي تتجاذبها الصّراعات الداخليّة فتحدث شرخا فيها، لتجعل من الأنا مبعثرة متشظيّة، "فالآخر هو الكليّة المزدوجة للكينونة الذّاتيّة وتقويضها في الآن نفسه، وهو يتداخل في سلسلة غير منتهيّة، تبدأ من أدق الانشطارات الذّاتيّة في علاقة الذّات بالذّات...ولا تنتهي إلاّ بانتهاء الوجود البشري في الزّمان والمكان.. فالفرد يمكن أن يكون آخر حتى بالنّسبة إلى نفسه في مدة قصيرة ويتحوّل إلى آخر بعد مدّة قصيرة"[25](صلاح صالح، 2003)، ولقد كانت رواية "اللص والكلاب" لنجيب محفوظ رائدة في إبراز هذه الثّنائيّة التي تمزق الأنا. يعد السّرد محورا يدور حوله وجود الإنسان بتمظهرات متداولة تعبر عن هويته المعرفية والتي تمنح الذّات تأصلا في النّص السّردي، لذلك فإنّ الهوية بما هي نتاج تاريخي ومكون له منحوتة كما لو كانت ذاتها، والآخر الذي يمثل أمامها إنّ

الذّات ومنذ الأمد مسكونة بالغيرية فالذّات عينها هي الآخر، "ولا توجد طريقة للخروج من الذّات إلاّ بالتّغرب في الغير"[26](نابي بوعلي، 2014)، ممّا يحملنا على القول أنّ الحياة سرد أو هي للسرد، فلا تتحقّق الهوية إلاّ بالتّأليف السّردي، حيث يتشكل الفرد أو الجماعة معا في هويتهما من خلال الاستغراق في السّرديات والحكايات التي تصير بالنّسبة لهما تأريخهما الفعلي"[27](بول ريكور، 2009)، فالهوية السّردية تؤسّس للذات والآخر، من خلال جعلها لحياتهما قصّة مقروءة من طرف الآخرين، الذّين هم بدورهم لهم ذات السّرد والقراءة، وهكذا تصبح الهويّة المنبثة في العالم الرّوائي موضوع سرد متبدل من ذات الحاكي إلى القراء الآخرين، أي موضوع قراءات متعددة لقراء متنوّعين. ويعتقد بول ريكور بما يسميه الهوية السّردية أي صورة الذّات التي لا تتحقّق إلاّ بالسّرد، فيقول: "لا ريب أنّ إشكالية التّماسك والبقاء أو بعبارة وجيزة إشكالية الهويّة توجد هناك في السّرد، وقد ارتفعت إلى مستوى جديد من الوضوح، ومن الإعضال أيضا، إذ يؤلف السّرد الخواص الدائمة لشخصية ما، هي ما يمكن أن يسميه المرء هويته السّردية"[28] (بول ريكور،1999)، وذلك عبر بناء نوع من الهويّة المتحركة في السّرد وخلق هويته الشّخصية. في العالم الرّوائي تكون الأنا في شبكة من العلاقات المتقاطعة مع الآخرين بل أحيانا تتغير لتكون هو أو ذاتا أخرى مختلفة، وذلك لأنّ الهويّة السّردية ليست كيانا ثابتا ومطلقا وإنّما تحمل سمات النّسبية والتّبدل من حال لحال، وهكذا "فخطاب الهويّة عن ذاتها يساعدها على مواكبة تطور الشّعور بالهوية والانتماء أو اللاانتماء لأزمنتها المتمثلة في النّضج أو الثّبات، أو التّعديلات التي تطرأ عليها أو لحظات تغيرها وانكساراتها...إلخ، كما أنّه يساعد على التّقرب من الارتباطات التي تحمي الهوية بالوعي العام بالذّات وأبعادها الاجتماعية والثّقافية"[29](محمّد نور الدين أفاية، دط) لأنّ الرّوائي عندما يكتب إنّما يبتعث إبداعه ويؤسّسه من خلفية حقيقية تمثل وجوده في الحياة وانتسابه لهويّة معينة، فيطابق خطابه السّردي مع ما يحدث معه في واقعه وفق مراحل تعكس صوره في فتراته السّعيدة والحزينة. وهذه الكتابة ما هي إلاّ بحث عن الهويّة، عن هويّة خاصّة بالنّسبة للكاتب، كما أنّها أحيانا قد تكون دفاعا عن هويّة خاصّة، وهذا الدّفاع أو هذا البحث سيكشف لنا بصورة خاصّة عن طابع الهويّة الذي يمكن أن نبحث عنه داخل النّص،

وهذا هو سر من أسرار إقدام الإنسان على قراءة النّصوص الأدبيّة وخصوصا السّرديّة، وذلك حتى يكتشف ذاته وهويته في تفاعلها مع النّص الأدبي. فالكاتب لا يعمل فقط على تسجيل أناه ولكن على البحث عنها. وفي هذا الصّدد نجد كتابًا مهمًا للكاتب اللبناني (علي حرب) عبارة عن سيرة فكريّة سمّاها(خطاب الهويّة)، كتبه بعد الحرب اللبنانيّة، عندما كان مهاجرا خارج لبنان يقول في مقدّمة هذا الكتاب: "...وهكذا فقد أردت أن أبين كيف خرجت من قوقعتي المذهبيّة لأتعرّف على المذاهب والمدارس والتيارات الرّائجة على السّاحة الفكريّة والعقائديّة، إذن يتعلّق الأمر في هذه السّيرة بخطاب يدور فيه الكلام على هويتي بمختلف وجوهها ومستوياتها وحدودها الفرديّة والشّخصيّة، الاجتماعيّة والوطنيّة العقائديّة والفكريّة، ولذلك يقول أسميت هذا الكتاب (خطاب الهويّة)"[30](علي حرب 2008). يعمل السّرد على سرد هوية الأنا من جهة، وعلى سرد هويّة الآخر من جهة ثانية في العالم الرّوائي، لكون هذا الأخير أنسب جنس أدبي لتمثيل الهويّة والاختلاف أو ما يسمى بالغيرية، لأنّ الهويّة لا يمكن أن توجد إلاّ عبر هذا الاختلاف، حيث أنّ "السّرد هو تمثيل لعالم ممكن بوسيلة لغوية ورؤى بصريّة، وفي مركزه هناك بطل أو عدة أبطال بطبيعة إنسانية مثبتون وجوديا بادراك زماني ومكاني، والذّين يؤدون غالبا أفعالا ذات أهداف مباشرة –تركيب الفعل والحبكة –إنّه تجربة الأبطال الذّين تركز السّرود عليهم، ويسمح للقراء بأن ينغمسوا في عالم مختلف وفي حياة الأبطال "[31] (مونيكا فلودرنك، 2002). فالسّرد له علاقة مباشرة بماهية الذّات وهويّتها، وكذا وجود الآخر الذي يمثل مرآة عاكسة لصورة الأنا. فالآخر ليس مجرّد إنسان نحاوره وإنما هو بنيّة، يعني جزء من بنيّة الهويّة، والذّات لا تكتمل إلاّ بالآخر ورفض هذا الآخر هو تدمير نهائي للأنا. لذلك لا يمكن أن نتحدّث في العمل الرّوائي عن شخص، أو عن ذات تعيش بعيدة عن الذّوات الأخرى.

3-إشكاليّة الهويّة وصراع الأنا والآخر في رواية الميراث لسحر خليفة: تعتبر رواية الميراث(199) لسحر خليفة[32] رواية هويّة، لأنّها تطرح مشكلة بالنّسبة للشخصيّة المحوريّة في الرّواية والتي تتساءل (من أنا)، أو هي غير راضيّة عن نفسها، عن هويتها، وتعد سحر خليفة من بين الرّوائيات اللواتي أولين اهتماما خاصًّا

بطرح إشكاليّة الصّراع العربي، الإسرائيلي في أعمالهن الرّوائيّة، حيث قامت الرّواية على فكرة الهويّة الضّائعة وكيف يمكن للإنسان البحث عن ذاته في ظل فقدانه لكل مؤشرات العودة. وهو ما حدث مع شخصيّة (زينة) التي تعود إلى فلسطين في رحلة البحث عن أصولها التي فقدتها. تظهر أزمة الهويّة في صراع "زينة" الغير قادرة على الاستمرار بذاكرة منشطرة نصفها عربي والنّصف الآخر أمريكي، وبالطّبع فإنّ أي تحيز هو اختيار لهويّة بعينها، فهي– مولودة لأب عربي من قريّة فلسطينيّة / "وادي الرّيحان" وأم أمريكيّة. تعاين الكاتبة في شخصيتها "زينة" صورة مركزيّة للمسيطر، ترجع أصولها لفانتازمات كولونياليّة تتضمنها عبارة "أيّها الآخر كن شبيهاً بي"[33](لبيب الطّاهر 1999). تتأرجح (زينة) المولودة لأب عربي فلسطيني وأم أمريكيّة بين ثقافتين مختلفتين الأولى ثقافة عربيّة تتصدر بنودها المحافظة على الشّرف، والسّمعة الحسنة، ومخافة الله واليوم الآخر –على حدّ تعبير والدها –أمّا الثّقافة الأخرى فتمثلها "ديبورا" الجدة الأمريكيّة التي تولت رعاية "زينة" إثر هروبها خوفاً من سطوة والدها بعد حملها من علاقة عابرة مع رجل في مجتمع "الآخر" دون زواج، غضب والدها وهدّدها بالقتل لكنه لم يستطع تنفيذ تهديداته نظراً لأنّها كانت تحت حماية جدتها الأمريكيّة التي هدّدته بدورها بقوة السّلاح. ممّا اضطره إلى الرّضوخ والاستسلام للواقع (واقع الآخر) وترك كل شيء والعودة لبلاده مجدّداً (وادي الرّيحان – نابلس) .

لا تمثل أمريكا في هذه الرّواية تلك الصّورة الرّائعة التي طالما انبهر بها الفرد العربي، بل هي فضاء للانحلال الخلقي، لذلك فإنّ وجع الحنين ظل يلازم والد زينب وعودته إلى الوطن دلالة على افتقاد الوالد لهويته وعدم إحساسه بالانتماء إلى فضاء الآخر. فعلى الرّغم من تظاهره بهويّة أخرى غير هويته، هويّة ملتبسة أو مرتبكة يحاول من خلالها التّعايش مع الآخر، بالتّنكر لقيمه ومفاهيمه، فانكليزيته وطلاقة لسانه لم ينجحا في إخفاء هويته التي تطل من عينيه وشاربه الكث. عاشت (زينة) في (أمريكا) مأساة الهويّة، وفي النّهاية قرّرت اقتفاء أثر والدها فلحقت به إلى (وادي الرّيحان)، تقول: "لغتي ضاعت، هويتي ضاعت، وكذلك اسمي وعنواني، كان اسمي بالأصل زينب حمدان، ثم مع الوقت أصبح زينة، كان الوالد محمّد حمدان ثم مع الوقت أصبح بلا محمّد أو حمدان، أصل الوالد وادي الرّيحان وأنا ولدت في بروكلين،

فزينة إذن بين البينين واللغتين والمفعولين، مفعول بروكلين والضّفة، مفعول الجدة والوالد ثم بلا فاعل أو مفعول[34] (سحر خليفة، 1997). تفصح تحولات الاسم(زينب–زينة) واختزال اسم والدها والمفارقة بين المكانيين (وادي الرّيحان) و"بروكلين"، فضلا عن اللغتين..الخ، عن مغالطّات والتّباس يكشفان أزمتها الهوويّة، فهي ليست عربيّة ولا أمريكيّة، ويكشفان أيضاً عن تماهي (زينة) مع قضيتها، قضيّة والدها، قضيّة شعب اغتصبت أرضه، فـ(زينة) مغتصبة، والأرض كذلك. زينة تحمل اسمين والأرض كذلك تحمل اسمين (فلسطين–إسرائيل)، زينة تخرق البند المقدّس "الشّرف" ويحول بين والدها وبين الثّأر لشرفه جدّة أمريكيّة. وهذا استدعاء لما يجري على أرض الواقع بوصف "إسرائيل" البنت المدلّلة لأمريكا. ومع ذلك يبدو أنّ صانع هذه الأزمة ظروف والدها الاستثنائيّة، وبالأحرى التّاريخيّة التي ابتدأت بالهجرة القسريّة عن بلاده، وانتهت بولادة زينة من أم أمريكيّة. وعلى الرّغم من محاولات الجدّة الأمريكيّة (ديبورا) جعل زينة أمريكيّة الثّقافة على طريقة الطّرف الأقوى: "أيّها الآخر كن شبيها بي"، إلاّ أنّها(زينة) ظلت خارج تلك الثّقافة وفي داخلها في آن فحين كانت تسمع جدّتها تردد قبل النّوم: " يا ألهي العظيم ماذا حل بأمريكا والأمريكان، ماذا حل بنا نحن؟ "وتقصد بحديثها هي وزينة فترد زينة–على طريقة الطّرف الأضعف–في مونولوج قائلة: "وكانت نحن تؤلمني، فما معنى "نحن"؟ ومن نحن؟ نحن الأمريكان أنا لست أمريكيّة، من أنت إذن؟ سألتني يوماً حين كرّرت ذلك القول، لم أقل عربيّة لأنّني لست كذلك، من أنا إذن بالرّغم من جنسيّة أمّي، شهادة ميلادي، شهادة مدرستي، كتبي، لهجتي، ملابسي وكل حياتي لست أمريكيّة حقًّا وفي الأعماق لست أمريكيّة حقاً[35] (سحر خليفة، 1997). تحسم(زينة) صراعها الذّاتي، وتقرّر النّزول للبلاد–على حد تعبيرها–، ومغادرة أمريكا، والعودة إلى وطن الهويّة حيث والدها والأهل والحلم، ولكن يتأكد لها زيف أحلامها وأوهامها أيضاً وتتفاقم أزمتها فلا تزداد هويتها إلاّ التباسا، إذ لا تعثر إلاّ على فراغ ومأساة وضياع، فلا وطن ولا هويّة. تقول: "جئت إلى الضّفة بحثاً عنه بحثاً عنهم، بحثاً عن وجهي في الغربة، حتى أعرف مَن أكون"[36](سحر خليفة 1997). وصراع "زينة" الداخلي أحد حقوقها المشروعة لأنّه مستمد من واقع يفرض شروطه عليها، ففي أمريكا تعاني من الإحساس الممّض من

ثنائيّة الهويّة/الثّقافة وهي المولودة من أب عربي، وفي نابلس تواجه القدر نفسه ولكن بطريقة أكثر قسوة فأثناء دخولها البلد كانت السّلطات الإسرائيليّة قد فرضت حظر التّجول. وجدت(زينة) نفسها في الشّارع وحيدة تنفتح من حولها عوارض خشبيّة مهترئة وتطل من خلفها وجوه مشاكسة لأطفال مشعثين مستنفرين .تحدقّ في وجهها بصمت وبرود وجسارة وحين وصلت آخر الشّارع صاحوا بصوت حاد : "شالوم يا امرأة، شالوم شالوم" [37](سحر خليفة،1997)، وهذا يعني أنّ الأمر بالنّسبة لـ "زينة" لم يكن بالصّورة أو البساطة التي تصورتها فالواقع الجديد يفرض شروطاً جديدة لأنّ ملامح الوطن التي رسمتها سحر خليفة في مخيلة (زينب) لم تكن توحي إلاّ بالخيبة والضّياع وهي تبحث عن هويتها في موطنها الأصلي، مثلما تكشف عن فشل مشروع استرداد الوطن المغتصب. وأنّ الأب الذي خرج مهاجراً بقضيته عاد يحملها في ملامح أخرى أكثر تعقيدا هي ملامح ابنته المرتبكة الهويّة التي زادت الحقيقة زيفا. وعندها تكون الهويّة الوحيدة لزينة هي اللاهويّة (اللاميراث). التي تجسّدت في الاغتراب عن الوطن والعودة إلى المنفى، لأنّ كليهما يشكلان منفى للبطلة. فهل الإشكاليّة الحقيقيّة هنا هي في الذّات الباحثة، كما بالنّسبة (لزينة) القادمة من أمريكا بحثا عن الذّات؟ أم الإشكاليّة الحقيقيّة إنّما تكمن في حجم التّخلف الاجتماعي، التّاريخي الذي يفرض حضوره الملموس والمكثف في كل مفاصل الحياة، بحيث يصبح مستحيلا على من يعيش على مسافة من هذا الواقع بحكم الابتعاد أو الاغتراب المكاني أو الزّماني (زينة) أن يصل إلى الخاتمة المقنعة والسّعيدة لعمليّة البحث؟ كيف يمكن لوطن بهويّة مزيفة أن يمنح هويّة؟، فالمنطقة كلها تعيش أزمة هويّة باتت تهدد حتى الدولة القوميّة هكذا يحمل الميراث عنوانه إنه ميراث حلم وإخفاق.

خاتـمـة: لا يزال البحث عن الهويّة وليس فيها، قضيّة تتصاعد بحكم الظّروف المعاصرة. فلقد برزت وجها مهما جدا في تأجيج الصّراع، وأي صراع أشد ضراوة من الصّراع على الهويّة. اتجه الفكر العربي بهذا المنطلق إلى المنحى الايدلوجي من خلال مواقف الذّات واختياراتها التي تحدد مواقعها ضمن السّياق الثّقافي العام، لكن مآل هذا الصّراع حول الهويّة قد لا يطول كثيرا، والذي يمكن أن يبقى هو البعد الإنساني للتجربة الإبداعيّة لأنّ الأدب الحقيقي (الرّواية الحقيقيّة) هي التي تعبّر عن

قلق الهويّة، هذا القلق الإنساني الذي يعمل على الارتقاء بالإنسان إلى هويّته كإنسان، الرّواية الحقيقيّة هي بحث عن الإنساني داخل الإنسان، تجسيد لطموح الإنسان، تربيّة للإنسان، هذه هي الهويّة السّرديّة التي يمكن أن تتقدّم لنا من خلال الإنتاج الرّوائي .. فالإنسان ليست له هويّة مطلقة، والهويّة ليست معطى جاهزا ونهائيا، بل يعمل على بنائها باستمرار، وكلما كانت هذه الذّات قادرة على الانفتاح على الآخر والتّعامل معه، كلما اقتربت أكثر من الهويّة، وفي هذا الإطار يعرف محمود درويش الهويّة تعريفا إبداعيًّا معاصرًا متجدّدًا وحيويًّا ثائرًا على الذّات: يقول "الهويّة هي ما نوّرث لا ما نرث، هي ما نخترع ففي" مرآة هذا الآخر، مهما كانت درجة صفائها أو قتامتها يمكن في رحلة البحث عن الذّات الوصول إليها والرّكون لها"[38] (مصطفى عبد الغني 1994)، وبهذا يمكن أن تنتهي الأزمة الحضاريّة التي تعيشها الذّات، فالوعي بالذّات لا يمكن أن يتحقّق بشكل تام إلاّ من خلال الوعي بالآخر. "وهذا ما يؤكّد أنّ الهويّة اليوم لا تؤدّي بالضّرورة دائما إلى السّيطرة والعداوة، بل تؤدّي إلى المشاركة وتجاوز الحدود، تحت ما يسمّى المثاقفة [39](ليندا مسالي، 2011).

قائمة المراجع:

المؤلّفات:

–أنتوني غندر: علم الاجتماع، ترجمة وتقديم: فايز الصّياغ، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، ط2005،1.

–بول ريكور: الوجود والزّمان والسّرد (فلسفة بول ريكور)، تر: سعيد الغانمي المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ،1999.

–بول ريكور: الهويّة والسّرد، تر: حاتم الو رفلي، دار التّنوير، بيروت، لبنان دط 2009.

–جمال شحيد ووليد قصاب: خطاب الحداثة في الأدب، الأصول والمرجعيّة دار الفكر، سوريا، ط1 ،2005.

–رزان محمود إبراهيم: خطاب النّهضة والتّقدم في الرّواية العربيّة المعاصرة، دار الشّروق عمان الأردن، ط1 ،2003.

–زكي نجيب محمود: عربي بين ثقافتين، دار الشّرق، ط2 ،1993.

–الطّاهر لبيب: صورة الآخر ناظرا ومنظورا إليه، مركز الدراسات الوحدة العربيّة الجمعيّة العربيّة لعلم الاجتماع، بيروت، ط 1999،1.

–محمّد نور الدين أفاية: الهويّة والاختلاف (المرأة، الكتابة والهامش)، إفريقيا الشّرق، الدار البيضاء، دط، دت.

–محمّد عابد الجابري: العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، القاهرة 1998.

–مونيكا فلودرنك: مدخل إلى عالم السّرد، تر، باسم صالح حميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1 ،2002.

–نابي بوعلي: بول ريكور والفلسفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014.

–نادر أحمد عبد الخالق: الشّخصيّة الرّوائيّة بين أحمد باكثير ونجيب الكيلاني (دراسة موضوعيّة وفنيّة)، دار العلم والإيمان للنشر والتّوزيع، دمشق، سوريا،2009.

–نهال مهيدات: الآخر في الرّواية النّسويّة العربيّة، في خطاب المرأة والجسد والثّقافة، عالم الكتب الحديث للنشر والتّوزيع، ط1 ،2008.

–عبد الحكيم أحمين: الهويات الافتراضيّة في المجتمعات العربيّة، مراجعة محمّد شمدين، دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط2017.

–علي حرب: خطاب الهويّة، (سيرة فكريّة خطاب حول صناعة الذّات)، الدار العربيّة للعلوم ناشرون لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، ط2008،2.

–سحر خليفة: الميراث، دار الآداب بيروت، ط1 ،1997.

–سعد البازعي: شرفات للرؤيّة: العولمة والهويّة والتّفاعل الثّقافي، المركز الثّقافي العربي،2005.

–سعد فهد الذّويخ: صورة الآخر في الشّعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1 ،2009.

–صلاح صالح: سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السّرديّة)، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2003.

المقالات:

-فائزة خمقاني: أثر الفضاء والزّمن في تقصي ملامح الهويّة في رواية خرافة الرّجل القوي لبومدين بلكبير، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 28 جوان2017.

-ليندا مسالي: الرّواية النّسويّة الجزائريّة (من هويّة الكتابة إلى كتابة الهويّة) الرّواية بين ضفتي المتوسط، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة،2011.

-ماجدة حمود: إشكاليّة الأنا والآخر (نماذج روائيّة عربيّة)، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت مارس ،2013.

-مصطفى عبد الغني: الاتجاه القومي في الرّواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، أوت 1994.

مواقع الانترنت:

-جابر عصفور: الرّواية والهويّة المزدوجة، مجلة الأهرام اليومي، موقع: http://www.ahram.org.eg/News/131682/4/440728/، يوم: 18 مارس 2019. 11:30.

-مصطفى حضران: سؤال الهويّة في فكر محمّد عابد الجابري، جريدة هسبريس الثّلاثاء 28 مارس 2017 -11:38 موقع: https://www.hespress.com

هوامش:

[1] – سعد البازعي، شرفات للرؤيّة: العولمة والهويّة والتّفاعل الثّقافي، المركز الثّقافي العربي،2005، ص52.

[2] – جمال شحيد ووليد قصاب: خطاب الحداثة في الأدب الأصول والمرجعيّة، دار الفكر سوريا، ط1 ،2005، ص429.

[3]– نهال مهيدات، الآخر في الرّواية النّسويّة العربيّة، في خطاب المرأة والجسد والثّقافة عالم الكتب الحديث للنشر والتّوزيع، ط1، 2008، ص12.

[4] – مصطفى حضران: سؤال الهويّة في فكر محمّد عابد الجابري، جريدة هسبريس، الثّلاثاء 28 مارس 2017 – 11:38 موقع: https://www.hespress.com

[5] – أنتوني غندر: علم الاجتماع، ترجمة وتقديم: فايز الصّياغ، المنظمة العربيّة للترجمة بيروت، ط1،2005، ص 136.

[6] – المصدر نفسه، ص 140.

[7]– سعد فهد الذّويخ: صورة الآخر في الشّعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1،2009، ص 20.

[8]– عبد الحكيم أحمين: الهويات الافتراضيّة في المجتمعات العربيّة، مراجعة محمّد شمدين دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط2017، ص130.

[9]– زكي نجيب محمود: عربي بين ثقافتين دار الشّرق، ط2 ،1993، ص 67.

[10]– نهال مهيدات: مرجع سابق، ص11.

[11]– محمّد عابد الجابري: العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، القاهرة، 1998 ص 298.

[12] – ماجدة حمود: إشكاليّة الأنا والآخر (نماذج روائيّة عربيّة)، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت مارس ،2013، ص 16.

[13] – المرجع نفسه، ص 16.

[14]– المرجع نفسه، ص 16.

[15]– المرجع نفسه، ص17.

[16] – جابر عصفور: الرّواية والهويّة المزدوجة، مجلة الأهرام اليومي، موقع:
http://www.ahram.org.eg/News/131682/4/440728/، يوم: 18مارس 2019. 11:30.

[17] – المرجع نفسه، ص 20.

[18]– فائزة خمقاني: أثر الفضاء والزّمن في تقصي ملامح الهويّة في رواية خرافة الرّجل القوي لبومدين بلكبير، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 28 جوان2017 ص 28.

[19]– جابر عصفور: مرجع سابق، ص 20.

[20] – نادر أحمد عبد الخالق: الشّخصيّة الرّوائيّة بين أحمد باكثير ونجيب الكيلاني (دراسة موضوعيّة وفنيّة)، دار العلم والإيمان للنشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، 2009، ص 26.

[21]– المرجع نفسه، ص 34.

[22]– رزان محمود إبراهيم: خطاب النّهضة والتّقدم في الرّواية العربيّة المعاصرة، دار الشّروق عمان الأردن، ط1 ،2003، ص25.

[23] – صلاح صالح: سرد الآخر(الأنا والآخر عبر اللغة السّرديّة)،المركز الثّقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2003، ص45.

[24] – الطّاهر لبيب: صورة الآخر ناظرا ومنظورا إليه، مركز الدراسات الوحدة العربيّة الجمعيّة العربيّة لعلم الاجتماع، بيروت، ط 1، 1999، ص 22.

[25]– صلاح صالح: سرد الآخر، مرجع سابق، ص10.

[26]– نابي بوعلي: بول ريكور والفلسفة، منشورات الاختلاف، الجزائر 1، 2014، ص 70.

[27] – بول ريكور: الهويّة والسّرد، تر: حاتم الورفلي، دار التّنوير، بيروت، لبنان، دط 2009، ص35.

[28]– ينظر: بول ريكور: الوجود والزّمان والسّرد (فلسفة بول ريكور)، تر: سعيد الغانمي المركز الثّقافي العربي الدار البيضاء، ط1 ،1999، ص29.

[29]– محمّد نور الدين أفاية: الهويّة والاختلاف (المرأة الكتابة والهامش)، إفريقيا الشّرق الدار البيضاء، دط، دت، ص 20–21.

[30] – علي حرب: خطاب الهويّة، (سيرة فكريّة خطاب حول صناعة الذّات)، الدار العربيّة للعلوم ناشرون لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، ط2، 2008، ص10.

[31]– ينظر: مونيكا فلودرنك: مدخل إلى عالم السّرد، تر، باسم صالح حميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1 ،2002، ص22.

[32]– سحر خليفة: روائيّة فلسطينيّة، تحمل دكتوراه في الرّواية الحديثة من الولايات المتحدة الأمريكيّة ومؤلفاتها، لم نعد جواري لكم الصّبار، عباد الشّمس، مذكرات امرأة غير واقعيّة باب السّاحة، الميراث، ترجمت رواياتها إلى لغات عديدة.

[33] – الطّاهر لبيب: صورة الآخر، مرجع سابق، ص 632.

[34]– سحر خليفة: الميراث، دار الآداب، بيروت، ط1 ،1997، ص18.

[35]– المصدر نفسه، ص 28.

[36]– المصدر نفسه، ص 11.

[37] – المصدر نفسه، ص 44.

[38]– مصطفى عبد الغني: الاتجاه القومي في الرّواية عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، أوت 1994، ص100.

[39]– ليندا مسالي: الرّواية النّسويّة الجزائريّة (من هويّة الكتابة إلى كتابة الهويّة)، كتاب الرّواية بين ضفتي المتوسّط، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة،2011، ص 248–249.